مجلة الدّراسات الإسلاميّة
ISSN: 2253-0894 / EISSN: 2661-7390
المجلد 10 ـــــــــــــــــــ العدد 01
جمادى الثاني 1443هـ ـــــ جانفي 2022م
ص ص: 023- 044

منزلة الموطأ عند المغاربة، ودوره في التأسيس لمدرسة الحديث بالمغرب الأقصى

AL-MUWATTA STATUS BETWEEN MOROCCANS AND HIS ROLE IN FOUNDING THE HADITH SCHOOL IN MOROCCO

عبد الرزاق زريوح (*)	Abderazzak ZARIOUH
كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة سيدي محمد بن عبد الله - فاس - المغرب.	Saïs Faculty of Letters and Human Sciences - Sidi Mohamed Ben Abdellah University - Fes - Morocco.
zariouh.abderazzak@gmail.com	

تاريخ الاستلام:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر:
2020/12/08	2022/03/03	2022/03/17

الملخص:

إنّ البحث في تاريخ نشأة المدرسة الحديثية بالمغرب الأقصى يُفضي إلى أن دخول الحديث والمصنفات الحديثية إليه مرتبط في بدايته بتأسيس الدولة الإدريسية بالمغرب الأقصى، التي تمسكت بمذهب مالك ونشأت في أحضانه، ونَمَت في أكناف موطأه.

ولهذا فلا غرابة أن يكون كتاب (الموطأ) لإمام دار الهجرة مالك بن أنس، أول المصنفات الحديثية دخولا إلى المغرب الأقصى. وهذا مما يفسر في نظري سبب ارتباط المغاربة بالإمام مالك وبموطئه، إضافة إلى أسباب أخرى موضوعية ومذهبية وروحية.

*) المؤلف المُرسل.

وهذا من الأمور الذي جعلت العمل مرتبطا بدليله في المدرسة المالكية المغربية منذ أول يوم، حيث لم يُفصل بين الحديث والفقه، إلا في بعض الفترات من تاريخ الدولة المرابطية والمرينية.

كما كان لتأسيس الدولة الإدريسية بالمغرب، وارتباطها بمذهب مالك ودخول الموطأ إليه أثر في ظهور مراكز علمية عديدة، احتضنت طائفة من المحدثين المغاربة الكبار، الذين أسسوا فعليا لنشأة مدرسة حديثية بالمغرب الأقصى.

ولهذا ارتأيت أن تكون مشاركتي في هذا العدد من مجلة (الدّراسات الإسلاميّة) المباركة مهتمة بهذا الجانب، ووسمتها: بـ (منزلة الموطأ عند المغاربة، ودوره في التأسيس لمدرسة الحديث بالمغرب الأقصى) علّها تجيب عن بعض التساؤلات التي يمكن أن تثار عن هذه المرحلة المبكرة من تاريخ مدرسة الحديث بالمغرب الأقصى.

الكلمات المفتاحية: الموطأ، المدرسة الحديثية، المغاربة، المغرب الأقصى.

Abstract:

Praise be to God, The Responsible for safeguarding Islam and prayer and peace be upon Sayyidina and Mawlana Mohamed, calling for the straight path until the Judgement Day.

Research in the history of the birth of the Hadith school in Morocco leads to the fact that the early coming of the Hadith and modern works to Morocco is related to the establishment of the Idrissi state in Morocco. This latter clings to the doctrine of Imam Malik and was brought up and developed thanks to his Muwatta.

Therefore, there is no wonder that the Muwatta Book of Malik Ibno Anas is the first Hadith book to have access to Morocco, as will be detailed.

This explains, in my humble opinion, the reason why Moroccans are attached to the Imam Malik Muwatta in addition to objective, sectarian and spiritual factors.

This is what makes his Muwatta embraced in Moroccan Maliki school right from the very beginning. There was no clear- cut line between Hadith and Fikh. However, the difference between Hadith and Fikh was made clear during some periods of Almoravid and Merinides state.

The establishment of the Idrissi state in Morocco along with its attachment to the doctrine of Malik and the coming of the Muwatta paved the way for the emergence of many educational centers which encompassed a group of well to do experts.

They were behind the birth of the Hadith school in Morocco.

For this reason, I would like my contribution, in the latest issue of your prominent MAGAZINE called (islamic studies journal), to shed more light on this issue entitled as Muwatta Status Between Moroccans And His Role In Founding The Hadith School In Morocco'. I hope that this down to earth contribution will answer some of the questions raised about this early period of the history of the Hadith school in Morocco.

Key Words: Al-Muwatta, The Hadith School ,Morocco

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، المتكفلِ بحفظ الدين، والصلاةُ والسلامُ على سيدنا ومولانا محمد الداعي إلى الحق المبين، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن الاشتغال بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم رواية ودراية، من أجَلِّ الأعمال وأعظمها أجرا، وقد تكفل الله عزّ وجلّ بحفظ هذا الدّين، فصان كتابه العزيزَ عن التّحريف، وعصَمَه من التبديل، وهيّأ لسنّة نبيّه صلى الله عليه وسلم رجالاً أفذاذاً التزموا بها، وقاموا بحفظها، وتدوينها، ونشرها، وشرحها، وحمايتها، من الدخيل، والمنافحة عنها في مشارق الأرض ومغاربها، جيلا بعد جيل.

وتشير كثير من الروايات التاريخية إلى أن التدوين عند المسلمين، قد بدأ في القرن الأول، ونما شيئا فشيئا في أوائل القرن الثاني الهجري. ومعظم ما دُوّن في تلك الفترة، متعلق بالحديث النبوي الشريف، أو بأجزاء يسيرة من أبواب فقه العبادات. ومن أشهر المصنفات الحديثية التي تم تدوينها آنذاك، موطأ الإمام مالك.

وفي أكناف الموطأ وأحضان مذهب مالك تأسست الدولة الإدريسية بالمغرب الأقصى، وفى ظلها نشأت المدرسة الحديثية به؛ وكان من بذور هذه النشأة بداية دخول الحديث والمصنفات الحديثية إليه.

ولهذا فلا غرابة أن يكون كتاب (الموطأ) لإمام دار الهجرة مالك بن أنس، أول المصنفات الحديثية دخولا إلى المغرب الأقصى. -كما سيأتي بيانه- وهذا مما يفسر في نظري سبب ارتباط المغاربة بالإمام مالك وبموطئه، إضافة إلى أسباب أخرى موضوعية ومذهبية وروحية.

وهذا من الأمور الذي جعلت العمل مرتبطا بدليله في المدرسة المالكية المغربية منذ أول يوم، حيث لم يُفْصَل بين الحديث والفقه، إلا في بعض الفترات من تاريخ الدولة المرابطية والمرينية.

ولهذا ارتأيت أن تكون مشاركتي في هذا العدد من مجلة (الدراسات الإسلامية) المباركة مهتمة بهذا الجانب، ووسمتها: بـ (منزلة الموطأ عند المغاربة، ودوره في التأسيس لمدرسة الحديث بالمغرب الأقصى) علّها تجيب عن بعض التساؤلات التي يمكن أن تثار، من قَبيل:

- إلى أي مرحلة يرجع تاريخ نشأة مدرسة الحديث بالمغرب؟ وما العوامل المسهِمة في ذلك؟
- وهل الموطأ هو أول المصادر الحديثية دخولا إلى المغرب؟ ومن أدخله؟
- وما دور الدخول المبكر للموطأ في التأسيس لمدرسة الحديث بالمغرب الأقصى؟
- وما هي أسباب ارتباط المغاربة بالإمام مالك وموطئه؟
- وما منزلة الموطأ عند المغاربة منذ تأسيس دولتهم بعد الفتح إلى عصرنا الحاضر؟
- وما سبب اعتناء المغاربة برواية يحيى بن يحي الليثي المصمودي أكثر من غيرها؟ وما مميزاتها؟

وتعد الإجابة عن هذه التساؤلات وغيرها، الهدف الأساس من هذه المقال. ولتحقيق هذه الغاية، اعتمدت فيه خطة احتوت على مقدمة وثلاثة مطالب وخاتمة.

- المطلب الأول: منزلة الموطأ عند المغاربة وأسباب تفضيلهم لها.
- المطلب الثاني: دخول الموطأ إلى المغرب الأقصى، وارتباط المغاربة به.
- المطلب الثالث: التأسيس لمدرسة الحديث بالمغرب الأقصى.

فأقول مستعينا بالله متوكلا عليه:

1. المطلب الأول: منزلة الموطأ عند المغاربة وأسباب تفضيلهم لها:

1.1. منزلة الموطأ بالرواية اللَّيْثِيَّةِ عند المغاربة:

اختلف العلماء في نسخ الموطأ المشهورة:

قال القاضي عياض: "والذي اشتهر من نسخ الموطأ مما رويته أو وقفت عليه، أو كان في روايات شيوخنا رحمهم الله، أو نَقل منه أصحاب اختلاف الموطئات نحو عشرين نسخة، وذكر بعضهم أنها ثلاثون نسخة"[1].

وقال أبو القاسم الشافعي: "الموطئات المعروفة عن مالك إحدى عشرة، ومعناها متقارب، والمستعمل منها أربع. واختلافهم في تحديد عدد نسخ الموطأ لكثرة رواته، وكل أخبر بما وقف عليه. فذكر الغافقي ثنتي عشرة رواية، وصلت إليه من روايات الموطأ"[2].

أما رواة الموطأ: فقال عنهم الحافظ صلاح الدين العلائي: "روى الموطأ عن مالك جماعات كثيرة، وبين رواياتهم اختلافات من تقديم وتأخير وزيادة ونقص"[3]. وقد أوصل ابن ناصر الدين الدمشقي، في كتابه (إتحاف السالك برواة الموطأ عن مالك) رواةَ الموطأ، إلى ثلاثةٍ وثمانين راوياً.[4] وذكر القاضي عياض واحدا وثمانين راويا للموطأ. ثم قال: "ولا مرية أن رواة الموطأ أكثر من هؤلاء من جِلّة أصحابه ومشاهير رواته، ولكن إنما ذكرنا منهم من بلغنا نصاً سماعه له منه، وأخذه له عنه، أو من اتصل إسنادنا له فيه عنه".[5] وقد ألّف الخطيب البغدادي كتابا في الرواة عن مالك، أورد فيه ألف رجل إلا سبعة. وذكر القاضي عياض أنه ألف في رواته كتابا وذكر فيه نيفا على ألف اسم.[6] ونظم هؤلاء الرواة الذين ذكرهم عياض، ابن ناصر الدين الدمشقي في أبيات ليسهل حفظها، ثم نثرهم في تأليف لطيف.[7]

ومن أشهر روايات الموطأ التي قدمهما غير واحد من المتقدمين والمتأخرين[8]، روايةُ يحيى الليثي المصمودي، (ت234هـ)[9]: وهي الرواية المتداولة المشتهرة شرقا وغربا، والمقصودة عند إطلاق لفظ الموطأ من غير تقييد، وفي ذلك يقول محمد حبيب الله بن مايابى الشنقيطي في نظمه لدليل السالك إلى موطأ الإمام مالك:

أولهـــا وهـــي أشـــهر النســـخ ❁ نسـخة مَـن في العلـم والـدين رسـخ
يحيـى بـــن يحيـى الزاهـــد الليثـي ❁ ذي الحظـــوة المشـــهورة الـــذكي
وحيثمـــا موطـــأ قـــد أطلقـــا ❁ لهـــا انصـــرافه لـــديهم حققـــا.[10]

وقد كانت عناية العلماء المغاربة عامة وأولي الأمر خاصة، بموطأ مالك برواية يحي بن يحيى الليثي فائقة، لم يحظ مصنف آخر من مصنفات الحديث بمثلها، إذ تعددت مظاهر اهتمامهم به؛ من ذلك الأمر الملكي للجنة الدائمة لإحياء التراث الإسلامي التابعة للأمانة العامة للمجلس العلمي الأعلى سنة 2005، بتحقيق "الموطأ" برواية يحيى بن يحيى الليثي، منبّها اللجنة إلى ضرورة التفطن لفساد الطبعات المنتشرة بين الناس، مؤكدا على وجوب الاعتماد على النسخ الأصيلة من رواية يحيى بن يحيى الليثي المصمودي.

وهذا الأمر الملكي: "كما نكلف اللجنة الدائمة لإحياء التراث، بالعمل على تحقيق: "كتاب الموطأ لإمامنا مالك بن أنس رضي الله عنه، تحقيقا علميا متقنا، يليق بموضوعه وبالمكانة التي يحظى بها لدى المغاربة، وإننا لننتظر من هذه اللجنة، استدراك ما فات طبعاته السابقة، وذلك بالرجوع إلى مخطوطاته المغربية الفريدة، ليطبع في حلة وطنية أصيلة جديرة بالمغرب كمنارة مشعة للفقه المالكي".[11]

وما التحقيق الذي قدمته هذه اللجنة في طبعةٍ أولى وثانية إلا ثمرة مباركة من ثمار هذه العناية الملكية، وهي عناية موصولة توارثها الخلف منهم عن السلف.

2.1. مميزات الرواية الليثية وسبب تفضيلها عند المغاربة

وتمتاز هذه الرواية عن غيرها من نسخ الموطأ كلِّها، بكثير من المميزات. منها:

♦ انفراد المغاربة برواية الموطأ من طريق يحيى بن يحيى الليثي.

اشتهرت هذه الرواية فيما بعد بالمشرق عن طريق المغاربة وبإسنادهم. قال أحمد المكي الفاسي: "ولم أرَ ذكر رواية أحد من المغاربة، ولا رواية أحد من أهل اليمن، لشيء من الكتب المذكورة في التأليف، لنزول روايتهم غالبا إلا أن لجماعة من المغاربة رواية عالية في الموطأ، رواية يحيى بن يحيى"[12]. وقال الحطاب في شرحه على خليل، وهو يسوق أسانيده إلى الكتب المصنفة، ومن جملتها الموطأ: "ولنقتصر على رواية يحيى بن يحيى الليثي؛ لأنها أشهر رواياته، وهي مما انفرد بها المغاربة"[13].

♦ كونها الرواية المغربية الوحيدة التي بقيت معتمدة إلى الآن.

أما بقية روايات المغاربة والأندلسيين، كرواية زياد بن عبد الرحمن، ويحيى بن مضر، والغازي بن قيس، وعلي بن زياد، فقد تركت لرجحان رواية يحي عليها جميعا، لكونها آخرها عرضا على الإمام.

♦ أكثر روايات الموطأ رواة.

لا يعرف لرواية أخرى من بين سائر الروايات مثل هذا العدد الهائل من الرواة، من مختلف البلدان والعصور. كما قال المقري: "وروايته الموطّأ مشهورة، حتى إن أهل المشرق الآن يسندون الموطّأ من روايته كثيراً، مع تعدّد رواة الموطّأ"[14].

♦ **احتواؤها على آراءِ مالك وأقواله وفتاواه.**

وقد بلغت المسائل الفقهية في الموطأ برواية يحي، نحوَ ثلاثةِ آلاف مسألة، في مختلف أبواب الفقه.[15] وهي بذلك لا تعدلها في الكثرة رواية أخرى.

♦ **اعتبارها من آخر ما عُرض على الإمام مالك رحمه الله.**

فهي بذلك تمثل الصورة الأخيرة التي ارتضاها مالك لموطأه، وتركت عليها، ورأى أنها أمثل في الدين وأصح للمسلمين، كما يمثل الأقوال المعتمدة لمؤلفه لأنها الأقوال الأخيرة له.[16]

♦ **أنها الرواية الوحيدة التي وُصلت جميع أحاديثها.**

فهي الرواية الوحيدة التي وُصلت جميع أحاديثها، بين سائر الروايات، سواء كانت مرسلة أو مقطوعة أو بلاغات من غير طريق مالك نفسه.

فأحاديث الموطأ ليست كلها مسندة، بل فيها المرسل، والمعضل، والمنقطع وغير ذلك؛ لكنها مسندة من طرق أخرى غير طريق مالك نفسه. وقد اجتهد الحافظ ابن عبد البر في وصل ما انقطع من هذه البلاغات آخر شرحه للموطأ[17]، وفاته من هذا العمل أربعة أحاديث وصلها الحافظ ابن الصلاح[18] في رسالة صغيرة أفردها لهذه الغاية.

لكل هذه العوامل وغيرها، كان اختيار المغاربة، وعناية علماء الغرب الإسلامي عموما برواية يحيى بن يحيى الليثي، وإيثارها على سواها من الروايات عند التأليف حول أي جانب من جوانب الموطأ، حتى صار ذلك عرفا سائدا ومنهجا متبعا عند الجميع.

ولقد عبر الحفاظ ابن عبد البر في مقدمة التمهيد عن هذا التقليد السائد عند بيانه سبب اعتماد رواية يحيى دون غيرها، حيث قال: "وإنما اعتمدت على رواية يحيى بن يحيى المذكورة خاصة لموضعه عند أهل بلدنا من الثقة والدين والفضل والعلم والفهم ولكثرة استعمالهم لروايته وراثة عن شيوخهم وعلمائهم"[19]. كما عبّر القاضي عياض في مقدمة كتابه "مشارق الأنوار على صحاح الآثار" عن نفس السبب في تفضيل هذه الرواية عن غيرها حيث قال: "فأما كتاب الموطأ للإمام أبي عبد الله مالك بن أنس ... من رواية يحيى بن يحيى ... التي قصدناها من جملة روايات الموطأ، لاعتماد أهل أفقنا عليها غالبا دون غيرها، إلا المكثرين ممن اتسعت روايته وكثر سماعه"[20].

2. المطلب الثاني: دخول الموطأ إلى المغرب الأقصى، وارتباط المغاربة به.

1.2. دخول الموطأ إلى المغرب الأقصى.

إن دخول الحديث والمصنفات الحديثية إلى المغرب مرتبط في بدايته بتأسيس الدولة الإدريسية بالمغرب الأقصى، التي تمسكت بالمذهب المالكي منذ أوائل عهدها.[21]

وبذلك يكون الأدارسة قد احتضنوا المذهب المالكي، باحتضانهم للوافدين من القرويين والأندلسيين الذين كان لهم دور حاسم في نشره وتوطيده في فاس، وفي سائر ربوع المغرب الأقصى فيما بعد.

يقول محمد بن جعفر الكتاني: "وعلى مذهبه (أي مذهب مالك) كان إدريس وجميع العلماء من أهل المغرب الأقصى، بسبب تقليد إدريس لمالك، وتحصيل كتابه الموطأ وحفظه له. وبذلك يكون أول من دعا المغاربة إلى مذهب مالك وقراءة الموطأ"[22].

وهو نفس ما ذهب إليه يوسف الكتاني -رحمه الله- فاعتبر الموطأ أول كتاب حديثي نقل إلى المغرب، فقال: "وباستقطاب المذهب المالكي في المغرب واتخاذه المذهب الرسمي للدولة، اتجه الاهتمام إلى كتاب (الموطأ) الذي يعتبر أول الكتب الحديثية المنقولة إلى المغرب، والمدروسة فيه خاصة"[23].

وكان أول من أدخل الموطأ إلى المغرب الأقصى هو القاضي عامر بن محمد القيسي، الذي رواه عن مالك، فسمعه منه إدريس الأول وغيره من فقهاء وقته.[24]

ثم أصبح منذ ذلك الحين -كما يقول الدكتور يوسف الكتاني- المادة الأساسية الأولى للدراسة والتعليم والفقه والاستنباط، واحتل زوايا القرويين، وسائر حلقات الدرس فيها وفي غيرها.[25]

ولهذا أشار محمد بن جعفر الكتاني إلى أن إدريس الثاني قد كان له الفضل في ترسيخ المذهب المالكي بالمغرب وقراءة الموطأ به، والدليل على ذلك اختياره لعامر القيسي لقضاء فاس، بعد أن وفد عليه من الأندلس، وكان "رجلا صالحا فقيها، سمع من مالك وسفيان الثوري، وروى عنهما، ثم خرج إلى الأندلس برسم الجهاد"[26].

وهكذا ظل المغاربة منذ أول الأمر مشتغلين بالموطأ، متوجهين إليه بكليتهم، في حلهم وترحالهم، بنقل أحكام فروعه والتثبت من مسائله الفقهية، وذلك باعتباره الكتاب الأساسي للمذهب، وأول كتب الحديث الواصلة إليهم. ولم تتوجه أنظارهم إلى بقية كتب الحديث وتناولها بالدرس والتمحيص، حتى حلّ القرن الرابع الهجري، وانتهى بهم الأمر إلى تركيز مذهب مالك في هذه الربوع.[27]

2.2. **أسباب ارتباط المغاربة بالإمام مالك وموطئه**.

لقد ارتبط المغاربة بالإمام مالك وبموطئه، وفي رأيي أن هذا الارتباط، له أسباب موضوعية ومذهبية وروحية، من أهمها:

أ- علاقة الإمام مالك بعبد الله الكامل.

وذلك لكون هذا الأخير، ملتقى نسب ملوك الدولتين الشريفتين الإدريسية المؤسسة للمغرب، والعلوية الموطدة لأركانه. وترجع هذه العلاقة لسببين:

الأول: موقف الإمام مالك من خلافة أبي جعفر المنصور الذي اعتبره مغتصبا للخلافة من محمد النفس الزكية، وكان الإمام مالك يفتي بعد ذلك بعدم جواز طلاق المكره، تعريضا بالمنصور لذلك، وقد لحق مالكا في ذلك من المحنة والأذى ما لحقه.

أورد الإمام الطبري (ت310هـ) في (تاريخه)، بسنده إلى ابن سنان الحكمي، "قَال: أخبرني غير واحد أن مالك بْن أنس، استُفتي في الخروج مع محمد، وقيل له: إن في أعناقنا بيعة لأبي جعفر، فقال: إنما بايعتم مكرهين، وليس على كل مكره يمين فأسرع الناس إلى محمد، ولزم مالك بيته"[28].

الثاني: الرواية عنه، وهذا ما أشار إليه ابن حجر (ت852هـ) في (تهذيب التهذيب).[29]

وذكر الشيخ عبد الحي الكتاني أنه "يُروى أن سبب اشتهار مذهب مالك بالمغرب واقتصارهم عليه، وأمر مولانا إدريس لهم باتّباعه: رواية مالك في الموطأ عن جده عبد الله الكامل"[30]؛ وذكر أيضا صاحب (تاريخ الجزائر العام) أن "الإمام مالكا، روى في الموطأ عن والد إدريس، عبد الله الكامل"[31]؛ وهو ما أكده أيضا الدكتور عباس الجراري، فذكر أن "الإمام مالكا يروي في موطأه عن عبد الله الكامل والد إدريس"[32].

وعلق محمد عز الدين المعيار الإدريسي على هذا الأمر فقال: "بحثت فيما استطعت الوصول إليه من روايات الموطأ عن عبد الله الكامل، فلم أجد له فيها ذكرا، ثم رجعت إلى عدد من المظان التي اهتمت بشيوخ مالك، فلم أعثر له فيها على ذكر كذلك، مثل كتاب (التمهيد) لابن عبد البر (ت403هـ)، وكتاب (التعريف بمن ذكر في الموطأ من النساء والرجال)، لابن الحناء الأندلسي (ت416هـ)، وكتاب (أسماء شيوخ مالك) لابن خلفون (ت636هـ)"[33].

كما أن الإمام مالكا، تأثر بعبد الله الكامل في بعض المسائل الفقهية، منها مسألة "السدل في الصلاة".

جاء في (المدونة) "قال ابن القاسم: وقال مالك: لا بأس بالسدل في الصلاة وإن لم يكن عليه قميص الإزار ورداء فلا أرى بأسا أن يسدل، قال مالك: ورأيت بعض أهل الفضل يفعل ذلك، قال مالك: ورأيت عبد الله بن الحسن يفعل ذلك"[34].

وفي (تاريخ دمشق)، لابن عساكر(ت571هـ) بسنده إلى مصعب بن عثمان، قال: "حدثني مالك بن أنس، وسئل عن السدل، فقال: لا بأس به قد رأيت مَن يوثق به يفعل ذلك، فلما قام الناس قلت: من هو؟ قال عبد الله بن الحسن"[35].

وفي (تهذيب الكمال) للحافظ المزي(ت742هـ) ما نصه: "عن مصعب بن عبد الله الزبيري: ما رأيت أحدًا من علمائنا يكرمون أحدًا ما يكرمون عبد الله بن حسن بن حسن، وعنه روى مالك بن أنس الحديث في السدل في الصلاة"[36].

ولابد أن يكون لرواية مالك عن عبد الله الكامل، والاقتداء به في بعض المسائل الفقهية، أثر كبير على علاقة الإمام مالك بالمولى إدريس بن عبد الله.

بـ اختيار المغاربة لمذهب مالك.

تشبَّث المغاربة بمذهب مالك عبر العصور، في عباداتهم ومعاملاتهم، حتى بات في مقدمة الثوابت التي حافظت على وحدة البلاد والعباد، في هذا الجناح الغربي من العالم الإسلامي منذ قرون.

وقد كان اختيار المغاربة مذهب الإمام مالك عن اقتناع فكري، واطمئنان قلبي، وقد نبع هذا الاختيار من أمرين رئيسين، أولهما مرتبط بشخصية الإمام مالك نفسه، وثانيهما راجع

إلى طبيعة المذهب ومميزاته.

ـ شخصية الإمام مالك.

كان من أسس اختيار أهل المغرب لمذهب الإمام مالك، حبهم لإمام دار الهجرة، والتبرك بأخلاقه، والتيمن بشمائله، والاقتداء بعلمه وفضله؛ وما اتصف به كذلك من صفات كثيرة علمية وخلقية ودينية كانت متجذرة راسخة في شخصيته رضي الله عنه، جعلته أهلا لأن يُقتدى به، ويُتأسى بفقهه واجتهاده.

وقد عرض الدكتور عباس الجراري والدكتور محمد الروكي مجموعة من هذه الصفات التي شدت المغاربة إلى الإمام مالك وربطتهم بمذهبه، منها: أنه عالم المدينة وفقيهها ومرجع غيره في العلم والفقه، وأنه أورع أهل زمانه في المدينة وأتقاهم لله تعالى، كما اجتمع أهل المدينة عليه، وتميز بطول إقرائه وإفتائه، وكثرة إملاءاته، واشتهار شيوخه به، وأخذهم عنه، وكثرة الرحلة إليه، وانتفاء البدعة عن أتباعه.[37]

فبمثل هذه الصفات كان الإمام مالك أهلا لأن يقتدى به ويتبع. ولأجل هذه الصفات أيضا اختار المغاربة مالكا إماما لهم، يقلدونه ويقتدون به في أمور دينهم. ومنذ أن أدركوا فضله وقدره، وعرفوا شرف علمه وعلو منزلته، وعمق فقهه واجتهاده، وهم على مذهبه إلى الآن، لم يغيروا ولم يبدلوا، وهذا من فضل الله عزّ وجلّ.

ـ مميزات المذهب المالكي.

تميز هذا المذهب من حيث محتواه العلمي، ومضمونه الفقهي، وقيمته التربوية، بصفات جعلته أهلا لأن يُتبع، وأحرى أن يسار على منهاجه. وهذه الصفات كثيرة، أجملها الدكتور عباس الجراري، وكذلك الدكتور محمد الروكي في مجموعة من الكليات، منها: سعة أصوله وكثرة قواعده، وقيامه على فقه خيار الصحابة والتابعين، كما تميز بتوسطه واعتداله، وكثرة أتباعه من الأئمة، وكثرة المؤلفات فيه، وطول القضاء والإفتاء به، وحظوته بدراسة واسعة عميقة؛ كما التزمت به كثير من الأقطار على مستوى الحكم، وإسهاماته في التوحيد بين أطراف إفريقيا.[38]

3. المطلب الثالث: التأسيس لمدرسة الحديث بالمغرب الأقصى.

كان لتأسيس الدولة الإدريسية بالمغرب، وارتباطها بمذهب مالك ودخول الموطأ إليه أثر في ظهور مراكز علمية عديدة، احتضنت طائفة من المحدثين المغاربة الكبار، الذين أسسوا فعليا لنشأة مدرسة حديثية بالمغرب الأقصى.

1.3. مراكز العلم والرواية في عهد الأدارسة.

برزت بالمغرب الأقصى منذ تأسيس دولة الأدارسة به، مجموعة من مراكز العلم والرواية، التي كان لها دور في تكوين نواة مدرسة الحديث ونشأتها، منها ما أشار إليه عبد الله كنون، من مراكز ثقافية وعلمية قامت في كل من سبتة وطنجة والبصرة[39] وأصيلا وغيرها. وهي باستثناء سبتة، قد عرض لحركتها فتور أو اضمحلت بالمرة، أثناء هذا العصر نفسه، وإن تخرج منها أعلام لهم مكانتهم في تاريخ الحركة الفكرية بالمغرب.[40]

لكن يبقى أهم مركز علمي في هذه الفترة، هو "جامع القرويين" الذي تأسس سنة 245هـ، على يد المحسنة الفاضلة أم البنين فاطمة الفهرية. ورغم عدم وجود نص صريح - كما ذكر عبد الهادي التازي- يؤرخ لبداية عقد الحلقات العلمية به، إلا أن مجموعة من المؤشرات تدل على أن الجامع كان منذ إنشائه مركزا للدراسات الدينية والأدبية، التي لم تنقطع منه أبدا؛ بالرغم من وجود مساجد أخرى سابقة له في فاس وغيرها.[41]

وهكذا وجدت هذه الحركة الثقافية المزدهرة ملاذها ومستقرها في الجامعة الجديدة الفتية، والمركز الثقافي الجديد جامع القرويين، الذي أصبح مصدر إشعاع الفكر والثقافة لا في المغرب وحده، بل في العالم الإسلامي كله، باعتباره أقدم جامعة علمية في العالم الإسلامي.[42] ولا أدل على ذلك من أن كبار علماء المغرب الذين عرفهم تاريخ المغرب، إنما نبغوا بعد التاريخ الذي شيد فيه ذلك المسجد العامر.[43]

فعلى هذا يمكن إرجاع تكوين نواة مدرسة حديثية بالمغرب الأقصى، إلى عصر الدولة الإدريسية؛ حيث نشأت في أحضان المذهب المالكي، الذي لم يُفصل فيه بين الحديث والفقه، إلا في بعض الفترات من تاريخ الدولة المرابطية والمرينية.

2.3. رواد الحركة الحديثية في عهد الأدارسة.

برز في عصر الأدارسة، طائفة من المحدثين المغاربة الكبار، الذين رحلوا إلى الشرق فحازوا الأسانيد العالية وأحرزوا الروايات المختلفة. وانقلبوا بعلم غزير حدّثوا به في المغرب الكبير، وفي الأندلس، بل وفي الشرق نفسه، نذكر منهم:

أ. الشيخ أبو هارون العمري البصري (ت313هـ).

هو عمران بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن عبد الله بن علي بن سالم[44] بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.[45]

نقل القاضي عياض عن سلمة بن فضل بن سلمة البجاني، أنه قال: " طرأ إلينا إلى بجانة، وهو من أهل بصرة المغرب، فسمع أبي منه كتاب ابن المواز، ثم رجع إلى بلده".[46] ونقل عن غيره أنه قال: "وهو أول من أدخل كتاب ابن المواز الأندلس"[47].

وقد ذكر القاضي عياض أنه خرج حاجا مع جماعة من أهل بلده. وسمع بالإسكندرية من ابن ميسر وابن أبي مطر، وبالقيروان من ابن اللباد. وكان فقيها، وتوفي بالبصرة سنة 313هـ[48].

ب. ابن سعادة السجلماسي (ت355هـ).

هو أبو موسى، عيسى بن سعادة، من فقهاء فاس ومحدثيها الأولين، الذين أخذوا عن جبر الله بن القاسم. وقد طلب العلم بالقيروان ومصر والأندلس، صحب أبا الحسن القابسي والأصيلي في رحلته إلى المشرق.[49] قال القاضي عياض: "حفظ الحديث، وفاق فيه غيره. وكان في الحفظ عجباً"[50]. وقال ابن بشكوال: " كان من كبار أهل العلم وفضلائهم، وله رواية بالأندلس عن أبي إبراهيم، إسحاق بن إبراهيم"[51]. أدركه أجله بمصر، سنة 355هـ.[52]

ج. دراس[53] بن إسماعيل (ت357هـ).

هو أبو ميمونة، الجراوي، الفاسي.[54] سمع من شيوخ بلده، ودخل الأندلس فسمع من شيوخها، وتردد وجوده فيها طالبا ومجاهدا[55]، كما رحل إلى الحج فدخل القيروان ونزل على الإمام أبي محمد بن أبي زيد، وسمع من علمائها كأبي بكر بن اللباد وغيره، ثم دخل مصر وسمع من قاضي الإسكندرية علي ابن أبي مطر[56]، وبعد قفوله من الحج دخل القيروان مرة أخرى فمكث بها مدة، وروى فيها مسموعاته بالمشرق. ثم عاد إلى فاس، وبقي مترددا بينها

وبين الأندلس التي حدث بها أيضا وسمع منه بعض علمائها كأبي الفرج عبدوس بن محمد الثغري، وخلف ابن أبي جعفر وغيرهما.

قال القاضي عياض: "وأراه رحل لبلدنا (أي سبتة)، فقد حدث عنه أقوام من كبارهم، كأبي عبد الله بن محمد بن علي بن الشيخ، وأخيه حسن بن علي وعمر بن ميمون بن بكر القيسي وحمود بن غالب الهمداني وغيرهم"[57]. وقد أثنى عليه عدد من العلماء، كما نقل ذلك عنهم القاضي عياض، منهم أبو بكر المالكي، وأبو الوليد الباجي، وابن عتاب، وابن القاضي.

قال أبو بكر المالكي: "كان أبو ميمونة من الحفاظ المعدودين والأئمة المبرزين من أهل الفضل والدين"[58].

د- أبو عمران الفاسي (ت430هـ).

هو موسى بن عيسى بن أبي حاج الغفجومي، نزيل القيروان، أصله من فاس، وبيته بها يعرف ببني الحاج، وإليه ينسب درب ابن أبي حاج من طالعة فاس، إلى الآن.[59] ولد سنة 368هـ."[60] قال عنه الذهبي: "عالم المغرب في زمانه بعد سنة ثَلَاثِينَ وَأَرْبع مئة[61].

وقال عنه في (تاريخ الإسلام): "قال حاتم بن محمد: كان أبو عمران الفاسيّ من أعلم النّاس وأحفظهم. جمع الفقه إلى الحديث ومعرفة معانيه. وكان يقرأ القراءات ويجودها مع معرفته بالرّجال، والجرح والتعديل. أخذ عنه النّاس من أقطار المغرب. ولم ألق أحداً أوسع منه علماً ولا أكثر رواية"[62]. كما عده من المحدثين حيث ترجم له في كتابه "المعين في طبقات المحدثين".[63]

وقال ابن ناصر الدين الدمشقي: "كان عالماً بالقراءات والحديث والفقه عارفاً بالجرح والتعديل والأصول"[64].

خاتمة:

بعد الانتهاء من البحث في موضوع "منزلة الموطأ بين المصنفات الحديثية، ودوره في التأسيس لمدرسة الحديث بالمغرب الأقصى"، توصلت إلى عدة نتائج، أجملها فيما يلي:

1. يرتبط دخول الحديث ومصنفاته إلى المغرب الأقصى في بدايته بتأسيس الدولة الإدريسية به، التي تمسكت بمذهب مالك وتأثرت بمميزات شخصيته وروت موطأه منذ أوائل عهدها.

2. يعتبر الموطأ أول المصادر الحديثية دخولا إلى المغرب الأقصى. وكان أول من أدخله هو القاضي عامر بن محمد القيسي، الذي رواه عن مالك، فسمعه منه إدريس الأول وغيره من فقهاء وقته. ثم أصبح منذ ذلك الحين المادة الأساسية الأولى للدراسة والتعليم والفقه والاستنباط، واحتل زوايا القرويين، وسائر حلقات الدرس فيها وفي غيرها.

3. اشتهرت بالمغرب الأقصى منذ تأسيس دولة الأدارسة به، مجموعة من مراكز العلم والرواية، التي كان لها دور في تكوين نواة مدرسة الحديث ونشأتها.

4. برز في عصر الأدارسة، طائفة من المحدثين المغاربة الكبار، الذين رحلوا إلى الشرق فحازوا الأسانيد العالية وأحرزوا الروايات المختلفة. وانقلبوا بعلم غزير حدّثوا به في المغرب الكبير، وفي الأندلس، بل وفي الشرق نفسه، منهم: الشيخ أبو هارون البصري، وابن سعادة السجلماسي، ودراس بن إسماعيل، وأبو عمران الفاسي.

قائمة المصادر والمراجع:

1) إتحاف السالك، برواة الموطأ عن الإمام مالك، لابن ناصر الدين الدمشقي، تحقيق: نشأت بن كمال المصري، المكتبة الإسلامية، القاهرة، ط1، 2006.

2) اختصار علوم الحديث، لابن كثير، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، د. ت.

3) الأزهار العاطرة الأنفاس بذكر بعض محاسن قطب المغرب وتاج مدينة فاس، لمحمد بن جعفر الكتاني، طبعة حجرية، تحمل طابع خزانة جامعة هارفارد الأمريكية "Harvarduniversity Library"، بتاريخ 9 مارس 1965.

4) إضاءة الحالك من ألفاظ دليل السالك إلى موطأ الإمام مالك، لمحمد حبيب الله الجكني الشنقيطي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط1، 1995.

5) الأعلام للزركلي، دار العلم للملايين، ط15، 2002.

6) أوجز المسالك إلى موطأ مالك، لمحمد زكريا الكاندهلوي، تحقيق: تقي الدين الندوي، دار القلم، دمشق، 2003.

7) بحوث في تاريخ السنة المشرفة، لأكرم بن ضياء العمري، دار بساط، بيروت، ط4.

8) بحوث مغربية في الفكر الإسلامي، لعباس الجراري، دار المعارف الجديدة، الرباط، ط1، 1408هـ/ 1988م.

9) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1413.

10) تاريخ الجزائر العام، لعبد الرحمن بن محمد الجيلالي، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، ودار مكتبة الحياة، ط2، 1384هـ/1965م.

11) تاريخ الطبري، لابن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، 1387هـ/ 1967م.

12) تاريخ دمشق، لابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، 1415هـ/1995م.

13) تدوين السنة النبوية، نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري، لمحمد بن مطر الزهراني، دار الهجرة، الرياض، السعودية، ط1، 1417هـ/1996م.

14) التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية في المدينة المنورة العلمية، لمحمد عبد الحي الكتاني، تحقيق: عبد الله الخالدي، دار الأرقم، بيروت، ط2، د.ت.

15) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، سنة: 1387هـ.

16) تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، للسيوطي، ويليه كتاب: إسعاف المبطأ برجال الموطأ، للسيوطي، دار إحياء الكتب العربية، مصر، على نفقة عيسى الحلبي، د.ت.

17) تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط1، 1326هـ

18) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للحافظ المزي، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1400هـ/1980م.

19) توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، لابن ناصر الدين الدمشقي، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1993.

20) جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، لأحمد ابن القاضي المكناسي، دار المنصور، الرباط، 1973.

21) الجواهر المضية في طبقات الحنفية، لعبد القادر محيي الدين الحنفي، مير محمد كتب خانه، كراتشي، د.ت.

22) حجة الله البالغة، لولي الله الدهلوي، تحقيق: السيد سابق، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.

23) الحطة في ذكر الصحاح الستة، لمحمد صديق خان القِنَّوجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1405هـ/1985م.

24) الخطاب الملكي السامي، في افتتاح الدورة الأولى لأعمال المجلس العلمي الأعلى، في فاس، بتاريخ 06 يوليوز، سنة 2005.

25) ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، لمحمد بن أحمد، المكي الفاسي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1990م.

26) الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، لمحمد بن جعفر الكتاني، تحقيق: محمد المنتصر الزمزمي، دار البشائر الإسلامية، ط6، 2000م.

27) سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، لمحمد بن جعفر الكتاني، تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني، وآخرون، دار الثقافة، ط1، 2004م.

28) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لعلي بن سالم مخلوف، تعليق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2003م.

29) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، لمحمد بن عبد الباقي الزرقاني، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2003م.

30) صحيح البخاري، المسمى: بالجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط1، 1422هـ.

31) صحيح مسلم، المسمى: بالمسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

32) الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، لمحمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1995م.

33) فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، لمحمد عَبْد الحَيّ الكتاني، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1982م.

34) القبس شرح موطأ مالك بن أنس، لابن العربي، تحقيق: محمد عبد الله ولد كريم، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1992.

35) مباحث في تاريخ المذهب المالكي بالمغرب، لعمر الجيدي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط1، 1993.

36) مجلة دعوة الحق المغربية، أعداد: 09، السنة: 16، 1975م/ 326، السنة: 38، 1997م/ 422، السنة: 61، 2017م.

37) مدرسة الإمام البخاري في المغرب، ليوسف الكتاني. دار لسان العرب، بيروت، د.ت.

38) المدونة، لمالك بن أنس، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ/1994م.

39) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض، المكتبة العتيقة، تونس- دار التراث، القاهرة، 1978م.

40) المعين في طبقات المحدثين، للذهبي، تحقيق: همام عبد الرحيم سعيد، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط1، 1404.

41) المغرب مالكي... لماذا؟ لمحمد الروكي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1424هـ/2003م.

42) مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، لطاش كبرى زاده، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1405هـ/1985م.

43) مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، للحطاب، دار الفكر، ط3، 1992.

44) موطأ الإمام مالك، برواية محمد بن الحسن، تحقيق: تقي الدين الندوي، مع الكتاب، التعليق المُمَجَّد لموطّأ الإمام محمد، وهو شرح لعبد الحيّ اللَّكنوي، دار القلم، دمشق، ط1، 1991م.

45) الموطأ وأهميته بين مصادر المذاهب الفقهية، لمحمد الدردابي، بحث منشور ضمن أعمال ندوة "المذهب المالكي في المغرب، من الموطأ إلى المدونة"، إعداد وتنسيق: عبد الله بنصر العلوي وحمزة الكتاني، المركز الأكاديمي للثقافة والدراسات بفاس، والمؤسسة العلمية الكتانية، بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2010م.

46) وصل بلاغات الموطأ، لابن الصلاح، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، المطبوعات الإسلامية، حلب، د.ت.

47) يحيى بن يحيى الليثي وروايته للموطأ، لمحمد بن حسن شرحبيلي، جامعة القرويين، كلية الشريعة، أكادير، ط1، 1416هـ/1995م.

الهوامش:

1- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، لمحمد بن عبد الباقي الزرقاني، (تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2003 م)، 89/2.

2- تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، لجلال الدين السيوطي، (الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1969هـ)، 10/1؛ أوجز المسالك إلى موطأ مالك، لمحمد زكريا الكاندهلوي، (تحقيق: تقي الدين الندوي، الناشر: دار القلم، دمشق، 2003)، 36/1.

3- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، 61/1.

4- إتحاف السالك، برواة الموطأ عن الإمام مالك، لابن ناصر الدين الدمشقي، (تحقيق: نشأت بن كمال المصري، الناشر: المكتبة الإسلامية، القاهرة، ط1، 2006)، ص: 64.

5- ترتيب المدارك، 89/2.

6- نفسه، 225/2.

7- انظر: القبس شرح موطأ مالك بن أنس، لابن العربي، "مقدمة المحقق"، (تحقيق: محمد عبد الله ولد كريم، الناشر: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1992)، 58/1.

8- مباحث في تاريخ المذهب المالكي بالمغرب، لعمر الجيدي، (الناشر: مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط1، 1993)، ص: 58.

9- انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء، 517/8؛ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، 375/2.

10- إضاءة الحالك من ألفاظ دليل السالك إلى موطأ الإمام مالك، لمحمد حبيب الله الجكني الشنقيطي، (الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط1، 1995)، ص: 42.

11- من الخطاب الملكي السامي، في افتتاح الدورة الأولى لأعمال المجلس العلمي الأعلى، في فاس، بتاريخ 06 يوليوز، سنة 2005.

12- ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، لمحمد بن أحمد، المكي الفاسي، (تحقيق: كمال يوسف الحوت، الناشر: دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1990م)، 32/1-33.

13- مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، للحطاب، (الناشر: دار الفكر، ط3، 1992)، 6/1.

14- نفح الطيب، 9/2.

15- انظر: التعليق الممجد على موطأ محمد، 30/1.

16- يحيى بن يحيى الليثي وروايته للموطأ، لمحمد بن حسن شرحبيلي، (الناشر: جامعة القرويين، كلية الشريعة، أكادير، ط1، 1416هـ/1995م)، ص: 116.

17- انظر: التمهيد، 161/24.

18- انظر: وصل بلاغات الموطأ، لابن الصلاح، (تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: المطبوعات الإسلامية، حلب، د.ت).

19- التمهيد، 10/1.

20- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض، (الناشر: المكتبة العتيقة، تونس- دار التراث، القاهرة، 1978م)، 8/1.

21- تناول قضية إثبات وجود المذهب المالكي بالمغرب الأقصى في عهد الأدارسة، عدد من الباحثين، منهم:

- محمد بن شريفة، في مقدمة تحقيقه، لـ"مذاهب الحكام في نوازل الأحكام"، للقاضي عياض وولده محمد، (الناشر: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1990)، ص: 5-9.
- عمر الجيدي، في كتابه، "مباحث في المذهب المالكي في المغرب"، (الناشر: مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط1، 1993)، ص: 19-21.
- محمد بن حسن شرحبيلي، في كتابه، "تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي حتى نهاية العصر المرابطي"، (الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ط1، 1421هـ/2000م)، ص: 55-64.
- سلمان الصمدي، في بحث له بعنوان: "أضواء على المذهب المالكي بالمغرب الأقصى في عهد الأدارسة"، [(منشور بمجلة دعوة الحق، السنة: 61، العدد: 422، 2017م)، ص: 131-141].

بينما ذهب عدد آخر من الباحثين إلى أن الدخول الفعلي للمذهب المالكي إلى المغرب الأقصى، لم يبدأ إلا في منتصف القرن الرابع الهجري، مع الفقيه المحدث، دراس بن إسماعيل الفاسي (ت357هـ)، ومن هؤلاء:

- محمود إسماعيل المصري، في كتابه، "الأدارسة في المغرب الأقصى، حقائق جديدة". (الناشر: مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1411هـ/1991م).
- محمود سعيد ممدوح المصري، في كتابه "طي القرطاس، بتعيين مذهب الإمام إدريس بن إدريس ساكن فاس"، (الناشر: دار الإمام الترمذي، القاهرة، ط1، 2014).
- عبد الله الجباري، في مقال له بعنوان: "المذهب المالكي في عهد الدولة الإدريسية، مطارحات نقدية"، منشور على موقع "شبكة ضياء للمؤتمرات والدارسات". رابط المقال: http://diae.net/55013

ولعل هذا التوجه، يرجع سببه، إلى الغموض الذي يكتنف كثيرا من المصادر التاريخية أثناء حديثها عن تاريخ الدولة الإدريسية عموما، ومذهبها الفقهي، ومذهب مؤسسها، وتاريخ المذهب المالكي بالمغرب الأقصى في القرنين الثاني والثالث الهجريين، حتى إن القاضي عياض في المدارك، لم يبدأ بِعَدِّ فقهاء المذهب المالكي بالمغرب الأقصى إلا بدءا بالطبقة الرابعة، وهي طبقة الفقيه دراس بن إسماعيل. مما جعل بعضهم ينفي مالكية مؤسس دولة الأدارسة، بل وينفون وجود المذهب المالكي في المغرب قبل هذه الفترة أساسا.

22- الأزهار العاطرة الأنفاس بذكر بعض محاسن قطب المغرب وتاج مدينة فاس، لمحمد بن جعفر الكتاني، (طبعة حجرية، تحمل طابع خزانة جامعة هارفارد الأمريكية "Harvard university Library"، بتاريخ 9 مارس 1965)، ورقة: 131.

23- انظر: مدرسة الإمام البخاري في المغرب، ليوسف الكتاني، (الناشر: دار لسان العرب، بيروت، د.ت)، 22/1؛ الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، لمحمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، (الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1995م)، 406/1.

24- انظر: الأزهار العاطرة، ورقة: 30؛ مباحث في المذهب المالكي في المغرب للجيدي، ص: 19؛ التعريف بمن ذكر في الموطأ من النساء والرجال، "مقدمة المحقق"، ص: 89.

25- مدرسة الإمام البخاري في المغرب، ص: 23.

26- الأزهار العاطرة الأنفاس، ورقة: 131.

27- انظر: البخاري واهتمام أهل المغرب به وبالجامع الصحيح، لمصطفى كمال التازي، (بحث منشور بمجلة دعوة الحق، السنة: 16، العدد: 09، 1975)، ص: 109.

28- تاريخ الطبري، لابن جرير الطبري، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعارف، مصر، ط2، 1387هـ/1967)، 560/7.

29- انظر: تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، (الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط1، 1326هـ)، 186/5.

30- التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية في المدينة المنورة العلمية، لمحمد عبد الحي الكتاني، (تحقيق: عبد الله الخالدي، الناشر: دار الأرقم، بيروت، ط2، د.ت)، 82/1.

31- تاريخ الجزائر العام، لعبد الرحمن بن محمد الجيلالي، (الناشر: مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، ودار مكتبة الحياة، ط2، 1384هـ/1965م)، 251/1.

32- أسباب انتشار المذهب المالكي بالمغرب، لعباس الجراري، (منشور ضمن بحوث مغربية في الفكر الإسلامي، لعباس الجراري، الناشر: دار المعارف الجديدة، الرباط، ط1، 1408هـ/1988م)، ص: 53.

33- عبد الله الكامل ملتقى نسب الدولتين: الإدريسية والعلوية، وشيخ إمام دار الهجرة مالك بن أنس، لمحمد عز الدين المعيار الإدريسي، (بحث منشور بمجلة دعوة الحق، السنة: 38، العدد: 326، 1997)، ص: 86.

34- المدونة، لمالك بن أنس، (الناشر: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ/1994م)، 197/1.

35- تاريخ دمشق، لابن عساكر، (تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر، 1415هـ/1995م)، 371/27.

36- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للحافظ المزي، (تحقيق: بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1400هـ/1980م)، 417/14.

37- انظر تفصيل هذه الصفات، في: أسباب انتشار المذهب المالكي بالمغرب، لعباس الجراري، (منشور ضمن بحوث مغربية في الفكر الإسلامي)، ص: 44؛ الفصل الأول من كتاب: المغرب مالكي... لماذا؟ لمحمد الروكي، (الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1424هـ/2003م)، ص: 16-31.

38- انظر: انظر تفصيل هذه الصفات، في: أسباب انتشار المذهب المالكي بالمغرب، لعباس الجراري، (منشور ضمن بحوث مغربية في الفكر الإسلامي)، ص: 45-47؛ الفصل الثاني من كتاب: المغرب مالكي... لماذا؟، ص: 38-54.

39- مدينة البصرة أو الحمراء، هي من المدن المندرسة بالمغرب، كانت تقع على طريق سوق أربعاء الغرب في اتجاه وزان، على بعد حوالي 25 كلم جنوب مدينة القصر الكبير. تم تأسيس مدينة البصرة بين 180هـ و197هـ. وانتقلت بسرعة كبيرة من مجرد قرية إلى مكان إقامة للأمراء الأدارسة، وهي مدينة كبيرة، وأوسع تلك البلاد مرعى، وأكثرها ضرعا، ولكثرة ألبانها تعرف ببصرة الذّبّان، كما تعرف ببصرة الكتان. (انظر: معجم البلدان 440/1؛ المغرب عبر التاريخ، 125/1)

40- النبوغ المغربي 48/1.

41- انظر: جامع القرويين، 111/1-112.

42- جامع القرويين، 113/1.

43- النبوغ المغربي، 47/1.

44- قال القاضي عياض عقب إيراده نسب أبي هارون إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "كذا وجدت نسبه بخط الحكم أمير المؤمنين الذي أعرفه، قال: وسالم لا يعرف له ولد اسمه علي، والمعروف علي بن أبي بكر بن سالم". (ترتيب المدارك 5/ 148)

45- ترتيب المدارك، 148/5.

46- ترتيب المدارك، 148/5.

47- نفسه، 148/5.

48- انظر: ترتيب المدارك، 148/5.

49- ترتيب المدارك، 278/6؛ الصلة لابن بشكوال، ص: 418.

50- نفسه، 278/6.

51- الصلة، ص: 418.

52- ترتيب المدارك، 278/6.

53- الذي يظهر أن "دراس" ليس اسمه الأصلي، بل هو لقب غلب عليه واشتهر به لكثرة درسه للعلم حتى صار علما عليه، وتنوسي اسمه الأصلي، (انظر: جنى زهرة الاس في بناء مدينة فاس، ص: 21).

54- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، لمحمد بن جعفر الكتاني، (تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني، وآخرون، الناشر: دار الثقافة، ط1، 2004م)، 175/2.

55- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، لأحمد ابن القاضي المكناسي، (الناشر: دار المنصور، الرباط، 1973)، 173/1.

56- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لعلي بن سالم مخلوف، (تعليق: عبد المجيد خيالي، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2003م)، 154/1.

57- ترتيب المدارك، 81/6.

58- نفسه، 81/6.

59- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، لمحمد عَبْد الحَيّ الكتاني، (تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1982م)، 159/1.

60- ترتيب المدارك، 173/6.

61- علق ابن مجاهد الدمشقي على هذا التاريخ بقوله: "وفي قول المصنف: بعد سنة ثلاثين، فيه نظر لأنه توفي في ثالث عشر شهر رمضان سنة ثلاثين المذكورة. وكذا جزم به المصنف في "وفياته" وفي كتابه "طبقات القراء"، وذكر أن مولده سنة ثمان وستين وثلاث مئة". [توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، لابن ناصر الدين الدمشقي، (تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1993)، 35/9]

62- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للذهبي، تحقيق: (عمر عبد السلام التدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1413)، 300/29.

63- المعين في طبقات المحدثين، للذهبي، (تحقيق: همام عبد الرحيم سعيد، الناشر: دار الفرقان، عمان، الأردن، ط1، 1404)، ص: 126.

64- توضيح المشتبه، 35/9.